ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:09، العدد:02 (2025)، ص167-178

معركة ملاذكرد ودورها في الحروب الصليبية (463هـ/1071م)

The Battle of Manzikert and Its Role in the Crusades (463 AH / 1071 AD)

✍ خضر عيد مفلح السرحان
جامعة آل البيت، المفرق (الأردن)
Khsrhan@yahoo.com

✍ منتصر خليفة فلاح الزواهرة*
جامعة آل البيت، المفرق (الأردن)
muntaser662@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2025/07/21
تاريخ القبول:
2025/12/07

الكلمات المفتاحية:
- ✓ السلاجقة
- ✓ البيزنطيون
- ✓ ملاذكرد
- ✓ ألب أرسلان

الملخص:

يتناول البحث واحدة من أبرز المعارك التي شهدها عهد الدولة السلجوقية، وهي معركة ملاذكرد، التي وقعت في عام 463هـ/1071م، خلال فترة حكم السلطان ألب أرسلان. وقد بلغت بوادر الاحتكاك بين الدولة البيزنطية والدولة السلجوقية ذروتها في هذه المرحلة. سيتم في هذا البحث التعريف بموقع المعركة، وسبب تسميتها، واستعراض الأسباب والدوافع التي أدت إلى نشوبها من وجهة نظر كلا الطرفين. كما يتناول البحث بداهة مجريات المعركة وأحداثها، ويعرض النتائج التي توصل إليها.

Article info

Received:
21/07/2025
Accepted:
07/12/2025

Key words:
- ✓ The Seljuks
- ✓ The Byzantines
- ✓ Manzikert
- ✓ Alp Arslan

Abstract:

This research explores one of the most prominent battles during the Seljuk era -the Battle of Manzikert-, which took place in 463 AH / 1071 AD, during the reign of Sultan Alp Arslan. The conflict between the Byzantine Empire and the Seljuk state had reached its peak during this period. The study introduces the location of the battle and the reason behind its name, examines the causes and motivations that led to the outbreak of the conflict from both perspectives, and outlines the course and events of the battle. It also presents the conclusions reached by the research.

* المؤلف المرسل

مقدمة

من بين أهم المعارك الفاصلة في تاريخ المواجهات بين الدولتين السلجوقية والبيزنطية، معركة "**ملاذكرد**"، التي وقعت سنة 463هـ/1071م. تُعد هذه المعركة من المعارك المشهورة في التاريخ الإسلامي، حيث استطاع السلاجقة بقيادة "**ألب أرسلان**" (455-465هـ/1063-1072م) أن يهزموا جيش الروم بقيادة "**أرمانوس**" (461-464هـ/1068-1071م) وأسره، ولم يطلقوا سراحه إلا بعد استيفاء فدية مجزية (ابن الأثير، 1996، ص224).

لهذه المعركة خصوصية واضحة في التاريخ الإسلامي، إذ انتصر المسلمون السلاجقة على الروم على الرغم مما حشده هؤلاء من أعداد كبيرة، وما كان بأيديهم من سلاح ومعدات وأثقال ومجانيق، مما مكّن المسلمين بعد هذه المعركة من فرض سيطرتهم على جزء كبير من الأراضي البيزنطية في تلك المنطقة (ابن العديم، 1996، ص179).

اعتمد الباحثان على المنهج التاريخي في جمع المعلومات من مصادرها الرئيسية، والاستئناس بما كتب حديثا عن المعركة في محاولة لاستنباط النتائج، وتحليل أحداث تلك المعركة التي وقعت في فترة حساسة من تاريخ الأمة الإسلامية.

1. بوادر الاحتكاك البيزنطي السلجوقي

اتسمت علاقة السلاجقة بالدول والممالك غير الإسلامية بالعداء، ولا سيما الدولة البيزنطية، لأن أراضي هذه الدول كانت تُعد دار حرب [1]، لذلك تعين على السلاجقة بمنطق ذلك العصر، إخضاعها ونشر الإسلام فيها أو إجبار حكامها على الخضوع بالحرب أو دفع الجزية إن لم يعتنقوا الإسلام (الزيباري، 2009، ص203).

شكلت الهجمات السلجوقية على الأراضي الأرمينية بداية للاحتكاك أو الصدام بين الطرفين السلجوقي والبيزنطي، وكان استيلاء البيزنطيين على الممالك الأرمينية بحجة حمايتها من خطر السلاجقة، دافع آخر حمل السلاجقة على دخول هذه المواجهة، وفيما اعتبر الجانب البيزنطي السلاجقة قوة سياسية وعسكرية ذات خطورة عليهم، وقد ضم الإمبراطور "**باسيل الثاني**" (337-415هـ/958-1025م) أرمينيا بأكملها، فإن السلاجقة شنوا هجمات عديدة على أرمينيا، وكان أخطرها تلك التي قادها "**إبراهيم ينال**" أخو طغرل بك سنة 440هـ/1048م، في حين كانت الدولة البيزنطية تعاني من صراع داخلي، وقد تمكن إبراهيم ينال من إلحاق الهزيمة بالجيوش البيزنطية (سليمان، 1982، ص221، 222، 223). لم يكن الصدام بين السلاجقة والبيزنطيين وليدَ اللحظة التي سبقت معركة ملاذكرد، بل هو نتاجُ سلسلة من التحولات السياسية في المشرق

(1) **دار الحرب:** هي على خلاف دار الإسلام، أي ما غلب عليها غير المسلمين. انظر: البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، **التعريفات الفقهية**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1424هـ/2002م، ص93.

الإسلامي، منذ منتصف القرن الخامس الهجري. فالدولة البيزنطية، التي كانت ترى نفسها حارسة للمسيحية الشرقية، رأت في ظهور السلاجقة تهديداً مباشراً لهيبتها في أرمينيا والأناضول، خاصةً بعد أن تحولت الأناضول إلى ساحة عبور للجيوش الإسلامية نحو القسطنطينية. ومن جهة أخرى، كان السلاجقة يسعون إلى ترسيخ سلطانهم في المشرق عبر تثبيت أركان دولتهم في إيران والعراق، ثم التمدد نحو الغرب لتأمين الحدود الإسلامية. وقد أدّى ضعف السلطة المركزية في بيزنطة، وتعدد الثورات الداخلية في عهد قسطنطين التاسع ومن بعده، إلى تهيئة المناخ لانتصارات السلاجقة. كما كان الاختلاف المذهبي بين الكنيسة الشرقية والغربية عاملاً إضافياً زاد من عزلة بيزنطة عن أوروبا الغربية، مما تركها تواجه السلاجقة بمفردها دون دعم كافٍ من الممالك اللاتينية الناشئة.

ويلاحظ أن السلاجقة اعتمدوا على الغزو الخاطف (الغارات السريعة) التي أنهكت خطوط الدفاع البيزنطية وأفقدت الجيش تماسكه، وهو ما مكّنهم لاحقاً من السيطرة على مناطق شاسعة قبل وقوع معركة ملاذكرد.

قاد السلطان "**طغرل بك**" (455-428هـ/1037-1063م) حملة ثانية إلى داخل الأراضي البيزنطية عندما سمع بوفاة الإمبراطور قسطنطين التاسع (334-347هـ/1042-1055م)، فغزا الأراضي الأرمينية ووصل إلى أرزن [1]، ثم تقدم نحو مقاطعة باسين وحاصر ملاذكرد، ولكن حاكم المدينة قاوم ونجح في صد القوات السلجوقية، وجدد السلاجقة هجماتهم على الأملاك البيزنطية في عام 451هـ/1059م، وتوغلوا في عمق الأراضي البيزنطية، وبلغوا مدينة سيواس، فقتلوا من أهلها وعادوا محملين بالغنائم. وبعد وفاة طغرل بك سنة 455هـ/1063م، طرأ تحول على سياسة السلاجقة تجاه الإمبراطورية البيزنطية، فقد وثق السلطان "**ألب أرسلان**" علاقاته مع السلطتين الغزنوية والخانية عن طريق المصاهرة، مما هيّأ له أن يركز اهتمامه على غزو البيزنطيين (طقوش، 2002، ص39، 40، 41).

وفي سنة 456هـ/1063م، سار السلطان ألب أرسلان إلى أذربيجان فوصل مرند[2] عازمًا على قتال الروم وغزوهم، فاجتمع مع أمير التركمان الذي كان يكثر من غزو الروم، واسمه "**طغتكين**" (483-507هـ/1104-1128م)، ومعه من عشيرته خلق كثير قد ألفوا الجهاد، وكانوا على معرفة بالمناطق، فكانوا بذلك يمهدون الطريق للسلاجقة، فجمعوا العساكر وساروا إلى بلاد الكرج[3]، فوصلوا إلى قلعة فيها جمع كبير

---

(1) **أرزن:** هي مدينة مشهورة قرب خلاط، ولها قلعة حصينة وكانت أعمر نواحي أرمينية. انظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1317هـ/1977م، مج1، ص150.

(2) **مرند:** هي مدينة من مدن أذربيجان. انظر: ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، **الأربعون البلدانية**، تحقيق: عبدو الحاج محمد الحريري، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1413هـ/1993م، ص128.

(3) **بلاد الكرج:** تقع بلاد الكرج بين بلاد الروم وبين بلاد أرمينية، وهي بلاد جليلة ومملكة فخمة. انظر: ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد، **التعريف بالمصطلح الشريف**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1408هـ/ 1988م، ص78.

من الروم، وقتلوا فئة كثيرة، بمن فيهم أمير القلعة، وساروا إلى قلعة سرماري، وقتلوا أميرها وملوكها، وأصبحت ثغراً للمسلمين (ابن الأثير، 1996، ج8، ص194؛ الذهبي، 2003، ص11).

حاول البيزنطيون القيام بعدة حملات لاسترداد أرمينيا، ووقف غارات الأتراك على آسيا الصغرى، مستفيدين من توغل السلطان ألب أرسلان في بلاد الشام، مما حدا بالسلطان ألب أرسلان التصدي للبيزنطيين ووقف تقدمهم، فكانت معركة ملاذكرد سنة 463هـ/1071م موضوع هذا البحث (طقوش، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، 2009، ص117).

2. معركة ملاذكرد (463هـ/1071م)

1.2. التعريف بموقع المعركة

وقعت معركة ملاذكرد في سنة 463هـ/1071م بالقرب من مدينة ملاذكرد الواقعة ضمن إقليم الرحاب، وهي من أهم المواقع الجغرافية في الشمال الشرقي من آسيا الصغرى (تركيا حالياً)، وقد كانت في تلك الحقبة تمثل الحدّ الفاصل بين أراضي المسلمين والبيزنطيين، وتشكل منطقة استراتيجية ذات أهمية عسكرية واقتصادية كبرى. وقد عُرفت ملاذكرد منذ العصور الوسطى بموقعها الحصين وطبيعتها الجبلية، مما جعلها نقطة تجمع للجيوش ومعقلاً للمدن الحدودية بين العالمين الإسلامي والرومي. وتصفها المصادر الجغرافية القديمة بأنها منطقة منيعة ذات حصون متعددة ومنابر عامرة، تكثر فيها البساتين والمياه، ويقع جامعها الكبير على حافة السوق في موضع بارز من المدينة (المقدسي، 2002، ص283). وقد كانت المدينة ذات عمران متماسك، وتتمتع بوفرة الزراعة بسبب قربها من مجاري المياه المنحدرة من جبال أرمينيا، الأمر الذي جعلها مركزاً زراعياً وتجارياً مهماً في تلك المنطقة.

أما من حيث الامتداد الجغرافي، فقد أشار ابن حوقل إلى أن حدود إقليم الرحاب الذي تقع فيه ملاذكرد تمتد من الشرق إلى برذعة، ومن الغرب إلى الجزيرة الفراتية، ومن الجنوب إلى أذربيجان، ومن الشمال إلى بلاد الروم حتى قاليقلا (ابن حوقل، 1992، ص295). وهذه الإشارة الجغرافية تُبرز بوضوح مدى اتساع الإقليم وأهميته كمنطقة تماس حضاري وسياسي بين المشرق الإسلامي والعالم البيزنطي. كما عدّها الجغرافيون مدينة شهيرة تقع بين أخلاط وبلاد الروم إلى الشمال من بحيرة وان، وتُعد جزءاً من إقليم أرمينية الكبرى، وكان غالب سكانها من الأرمن الذين استقروا فيها منذ القدم، مع وجود أقلية من المسلمين بعد الفتوحات الإسلامية المتقدمة في تلك الديار. وقد احتفظت المدينة بأهميتها في القرون الوسطى بسبب موقعها الذي يربط الطرق التجارية القادمة من الشرق باتجاه الأناضول الغربي، ولذلك كانت محل نزاع مستمر بين القوى الإقليمية الكبرى، ولا سيما بين السلاجقة والبيزنطيين.

ويُذكر أن ملاذكرد اشتهرت كذلك من الناحية الثقافية، إذ نُسب إليها عدد من العلماء والأدباء، من أبرزهم الوزير أبو النصر المنازي، الذي يُنسب إليها اسماً وموطناً، وقد كان من أهل الأدب والكتابة في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. وهذا يدل على أن المدينة لم تكن مجرد موقع عسكري، بل كانت

أيضاً مركزاً علمياً وأدبياً نسبياً في محيطها الجغرافي (ياقوت الحموي، 1977، مج5، ص202؛ أبو الفداء، 1840، ص394).

2.2. سبب التسمية

سُميت معركة ملاذكرد نسبةً إلى مدينة ملاذكرد. كما وردت تسميات أخرى للمعركة والمدينة في المصادر التاريخية العربية والأجنبية، مثل منازكرد (ابن العديم، 1996، ص176)، وماتزكرت (سليمان، 1982م، ص232)، وملازكرد (حسنين، 1959، ص57)، ومانتزيكرت (كاهن، 1972، ج1، ص350). وتُعزى هذه الاختلافات في التسمية إلى التنوع في نطق الذال والزاي.

3.2. الأسباب والدوافع

تُعد معركة ملاذكرد من المعارك المهمة والفاصلة في التاريخ الإسلامي، ومن أسبابها؛ استيلاء السلطان ألب أرسلان على حلب وعدة مناطق، وصولاً إلى حدود أرمينيا المتاخمة للدولة البيزنطية (ابن الأثير، 1996، ج8، ص222). وكذلك توجه ملك الروم أرمانوس من القسطنطينية إلى بلاد الشام بجيش قوامه ثلاثمائة ألف مقاتل، فنزل في منبج [1]، وأحرق ما بينها وبين أراضي الروم (ابن كثير، 1991، مج6، ص578).

وفي ضوء السياسة التوسعية للدولة البيزنطية، وتوسع الدولة السلجوقية إلى حدود أرمينيا، أدرك البيزنطيون خطر السلاجقة (سليمان، 1982، ص227، 228)، في حين خرج أرمانوس ملك الروم بجيش قوامه مائتا ألف مقاتل من الروم والفرنجة والغرب والروس والبجناك [2]، والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد، وذلك لاسترداد الأراضي التي استولى عليها السلاجقة من البيزنطيين (ابن الأثير، 1996، ج8، ص222).

ومن الأسباب الأخرى لمعركة ملاذكرد، فرار "**ابن أريسغي**"، زوج شقيقة ألب أرسلان، سنة 462هـ/1071م إلى عاصمة البيزنطيين القسطنطينية، وانضمامه إلى الجيش البيزنطي. وعندما طالب السلطان ألب أرسلان بإعادته، رفض الإمبراطور طلبه، وكان هذا من الأسباب المباشرة للمعركة (ابن القلانسي، 1908، ص101، 102؛ ابن الجوزي، 2013، ج19، ص232).

لم تكن الأسباب عسكرية فقط، بل تنوعت ما بين سياسية ودينية واقتصادية؛ فمن الناحية السياسية، كان السلطان ألب أرسلان يسعى إلى تثبيت هيبة الدولة السلجوقية بعد أن ورثها عن طغرل بك، فأراد أن يُظهر قدرته على صدّ الهجمات الخارجية وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية. ومن الناحية الاقتصادية، كانت الأناضول وأرمينيا تشكلان مناطق غنية بالموارد الطبيعية والممرات التجارية التي تربط الشرق بالغرب، مما جعل السيطرة عليها هدفاً استراتيجياً للطرفين. أما من الناحية الدينية، فقد اتخذ ألب أرسلان من الجهاد ضد

---

(1) **منبج:** بلدة قديمة كبيرة فسيحة الأرجاء ملتقة الأشجار مختلفة الثمار، تقع بين مدينة حلب ونهر الفرات. أنظر: البكري، عبد الله بن عبد العزيز، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج1، ص1265.

(2) **البنجاك:** هم قوم من أصل تركي، عاشوا حول البحر الكاسبيكي. انظر: أحمدي، سامر بايروش، **انتشار الإسلام في كوسوفا**، ط1، مركز البحوث والدراسات، قطر، 1429هـ/2008م، ص88.

الروم وسيلة لتوحيد القبائل التركية حول راية الإسلام، خاصة في ظل التحديات الداخلية التي واجهت السلاجقة في بداية عهدهم.

ويبدو أن الإمبراطور أرمانوس، قد بالغ في تقدير قوته، حين خرج بجيش ضخم من المقاتلين المرتزقة والفرنجة والروس والكرج، فكانت المعركة نتيجة مباشرة لطموحاته في استعادة مجد بيزنطة القديم. ومن جانب آخر، مثّل رفض البيزنطيين إعادة "**ابن أريسغي**" إلى السلاجقة تحدياً شخصياً لألب أرسلان، ما أضاف بعداً نفسياً وسياسياً للمعركة.

هذه الأسباب مجتمعة أدت إلى نشوب معركة ملاذكرد، والتي أدت إلى استيلاء السلاجقة على الأراضي القريبة من الدولة البيزنطية، وكذلك هجمات الدولة البيزنطية على أراضي السلاجقة.

4.2. وقائع المعركة

بعد الصدامات المستمرة بين السلاجقة والروم، دنا السلطان ألب أرسلان من ملك الروم أرمانوس في موضع يُعرف بالزهرة بين أخلاط وملاذكرد. وفي يوم الأربعاء الخامس عشر من ذي القعدة سنة 463هـ/السادس والعشرين من أغسطس 1071م، راسل السلطان الملك في هدنة، فأجابه بأن الهدنة تكون في الري. فانزعج السلطان من ذلك، فقال له إمامه وفقيهه أبو النصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي: "إنك تقاتل عن دين الله، وإني لأرجو أن يكون الله قد كتب باسمك هذا الفتح". فتوقف السلطان إلى يوم الجمعة عند خطبة الخطباء، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: 10] (الحسيني، 1985، ص110، 111). اتسم استعداد السلطان ألب أرسلان بقدر كبير من التنظيم العسكري والعقيدة القتالية، فقد اعتمد على نظام الفرق المتحركة التي تعتمد على الخفة والكرّ والفرّ، مقابل جيوش بيزنطية تقليدية تعتمد على الكتائب الثقيلة. كما استفاد ألب أرسلان من التضاريس الجبلية الوعرة التي يعرفها المسلمون أكثر من خصومهم.

وروي عن السلطان أنه خطب في جنده قبل القتال قائلاً: "**من أراد الرجوع فليرجع، فليس هنا سلطان يأمر، إنما أنا اليوم واحد منكم**"، مما ترك أثراً نفسياً بالغاً في رفع المعنويات. وقد كان للعنصر الديني أثر واضح في تهيئة المقاتلين، إذ توافدت أعداد من الفقهاء والقراء لتذكير الجيش بفضائل الجهاد، فأصبح الجيش متماسكاً روحياً وعقائدياً، بخلاف الجيش البيزنطي الذي ضم خليطاً من المرتزقة عديمي الولاء.

وقد بلغ السلطان خروج أرمانوس ملك الروم في جمع لا يُحصى عدده، ولا يُحصر مدده، فاستدعى السلطان من كل الجهات التابعة له العساكر للجهاد، وبقي في خمسة عشر ألف فارس من نخبة رجاله، بينما كان الروم في ثلاثمائة ألف ويزيدون. فرأى السلطان أن يحشد الجموع وقال: "**إني أحتسب عند الله نفسي، وإن سُعدتُ بالشهادة ففي حواصل الطيور الخضر، من حواصل النسور الغُبر أُمسي، وإن نُصرتُ فذاك أسعد لي، وأنا أُمسي ويومي خير من أمسي**" (البنداري، 1900، ص37، 38)، وعزم أمره على المواجهة بالرغم من الفارق العددي في الجند والعتاد.

كما خرج أمر الخليفة العباسي القائم بأمر الله (422-467هـ/1031-1075م) إلى الخطباء على المنابر بالدعاء للسلطان ألب ارسلان بما صيغته: "**اللهم اعلي راية الإسلام وناصره، وادحض الشرك بجب غاربه، وقطع أواصره، وإمداد المجاهدين في سبيلك، الذين في طاعتك بنفوسهم سمحوا، وعلى متابعتك بمهجهم فازوا وربحوا، بالعون الذي تطيل به باعهم، وتملأ بالأمن والظفر رباعهم، وأحب شاهنشاه الأعظم برهان أمير المؤمنين بالنصر الذي تنشر به أعلامه، وتستبشر بمكانه من اختلاف الظلال أيامه، وأوْلِه من التأييد الضاحكة مباسمة، القائمة أسواقه ومواسمه، ما تقوي به في إعزاز دينك يده، ويقضي بأن يشفع يومه من الكفار غده، واجعل جنوده بملائكتك معضودة، وعزائمه علي اليُمن والتوفيق معقودة، فإنه قد هجر في كريم مرضاتك الدعة، وتاجرك من بذل المال والنفس ما انتهج فيه مسالك أوامرك الممثلة المتبعة، فانك تقول، وقولك الحق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصف: 10، 11]، اللهم فكما أجاب نداءك ولبّاه، واجتنب التثاقل عن السعي في حياطة الشريعة وأباه، ولاقى أعداءك بنفسه وواصل في الانتصار لدينك يومه بأمسه، أنت اخصصه بالظفر، وأعنه في مقاصده بحسن مجاري القضاء والقدر، وحطّه بحرز يدرأ عنه من الأعداء كل كيد، ويشمله من جميل صنعك بأقوى أيْد، ويسّر له كل مطلب يرومه ويزاوله حتى تكون نهضته الميمونة عن النصر مسفرة، ومقلة أحزاب الشرك مع إصرارهم على الضلال غير مبصرة. فابتهلوا معاشر المسلمين إلى الله تعالى في الدعاء له بنية صافية، وعزيمة صادقة، وقلوب خاشعة، وعقائد في رياض الإخلاص رائعة، وواصلوا الرغبة إلى الله في إعزاز جانبه، وفلّ غرب مجانبه، وإعلاء رايته، وإنالته من الظفر أقصى حده وغايته**" (ابن العديم، د.ت، ج4، ص1978، 1979).

ويلاحظ أن دعاء الخليفة للسلطان ألب أرسلان يمثل وثيقة سياسية دينية بالغة الأهمية قبل غزوة بلاد الروم، أصدره الخليفة القائم بأمر الله لمنح الشرعية المطلقة للغزو، مُؤطراً إياها كجهاد إسلامي يهدف لإعلاء الدين ودحض الشرك. وقد وردت فيه ألقاب لترفيع شأن السلطان كـ "**شاهنشاه الأعظم**"، وهو لقب فارسي يعني "**ملك الملوك**"، وكذلك لقب "**برهان أمير المؤمنين**"، وهو إلى ذلك يربط تضحيته بالمال والنفس بالآيات القرآنية ليُضفي على الغزو صفة "**التجارة الرابحة مع الله**"، كأداة لطالما استخدمت لحشد الدعم للجيوش الإسلامية قبل الحرب.

أعد المسلمون العُدة للمعركة الفاصلة، واجتمع الجيشان سنة 463هـ/1071م، فلما حان الوقت والتقى الفريقان، نزل السلطان وسجد لله عز وجل، ومَرَّغ وجهه في التراب ودعا الله واستنصره، فأنزل الله نصره على المسلمين، ومنحهم أكتافهم فقتلوا منهم خلقًا كثيراً، وأُسر ملكهم أرمانوس. فلما أُوقف بين يدي الملك ألب أرسلان، ضربه بيده ثلاثة مقارع، وقال: "**لو كنتُ أنا الأسير بين يديك، ما كنتَ تفعل؟**" قال: "**كل قبيح**". قال: "**فما ظنك بي؟**" فقال: "**إما أن تقتلني، وتُشهر بي في بلادك، وإما أن تعفو، وتأخذ الفداء، وتُعيدني**". قال: "**ما عزمتُ إلا على العفو والفداء**". فافتدى نفسه منه بخمسمائة ألف دينار. فقام بين يدي الملك، وسقاه شربة ماء،

وقبَّل الأرض بين يديه، وقبَّل الأرض إلى جهة الخليفة إجلالاً وإكراماً، وأطلق له الملك عشرة آلاف دينار ليتجهز بها، وأطلق معه جماعة من البطارقة، وشيَّعه فرسخاً، وأرسل معه جيشاً يحفظونه إلى بلاده، ومعهم راية مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله (ابن الأثير، 1996، ج8، ص224، 225؛ ابن كثير، 1991، مج6، ص581).

وقيل: ثم كتب السلطان ألب أرسلان إلى الخليفة العباسي بشرح ما جرى، وبعث عمامة ملك الروم والصليب وما أخذ من الروم، وذلك في 23 من ذي الحجة سنة 462هـ/1071م، فقرئ الكتاب على الخليفة، وسُرَّ الخليفة والمسلمون، وازيّنت بغداد تزيناً لم تزين مثله، وعُملت القباب، وكان فتحاً عظيماً لم يكن في الإسلام مثله (ابن الجوزي، 2013، ج19، 239؛ سبط ابن الجوزي، 1940، ج8، ص262).

5.2. نتائج المعركة وتداعياتها

نتج عن معركة ملاذكرد عدة نتائج، من أهمها:

انتصار الجيش الإسلامي بقيادة السلطان السلجوقي ألب أرسلان، وأسر ملك الروم أرمانوس (ابن الجوزي، 2013، ج19، ص237)، وبذلك كان أول إمبراطور بيزنطي يقع أسيراً بأيدي المسلمين رغم قتاله بشجاعة (قاسم، 1990، ص73). وقد كانت معركة ملاذكرد دليلاً على نهاية دور الدولة البيزنطية في حماية المسيحية من ضغط الإسلام، وفي حراسة الباب الشرقي لأوروبا من الغزو الآسيوي (سليمان، 1982، ص236، 237).

ومن نتائجها أيضاً مهّدت معركة ملاذكرد الطريق للقضاء على النفوذ الرومي، بشكل كبير في آسيا الصغرى، وبقية الأجزاء الشرقية من بيزنطة، كانت نتائجها أبعد من مجرد هزيمة عسكرية للجيش البيزنطي؛ إذ مهّدت بشكل حاسم وكبير الطريق للقضاء على النفوذ الرومي الإمبراطوري في المنطقة الأكثر أهمية وحيوية للإمبراطورية: آسيا الصغرى (الأناضول). (أبو النصر، 2001، ص78).

وكذلك كانت طريقة تعامل السلطان ألب أرسلان مع الإمبراطور الأسير أرمانوس معاملة طيبة، درسا في الأخلاق الحربية الإسلامية.

وعلى إثر ذلك تم عقد معاهدة بين المسلمين السلاجقة والروم البيزنطيين، ومن بنودها:

- إطلاق سراح الإمبراطور أرمانوس مقابل الفدية.
- أن تدفع الدولة البيزنطية جزية سنوية للدولة السلجوقية.
- إطلاق سراح جميع الأسرى المسلمين في بلاد الروم.
- أن يمد الإمبراطور البيزنطي السلطان بالعساكر اللازمة عند الطلب منه (طقوش، 2002، ص49).
- أن تمتد المعاهدة لخمسين عاماً (حسنين، 1959، ص58).

ومن بين التداعيات بعيدة المدى لمعركة ملاذكرد أنها فتحت أبواب الأناضول أمام هجرة القبائل التركية (حمادة، 1982، ص21)، بل أنها آذنت ببداية الانحلال للإمبراطورية البيزنطية في نهاية القرن الخامس

الهجري / الحادي عشر الميلادي، وليس هذا مجال الإفاضة في أثر الموقعة في التاريخ البيزنطي، فقد جاءت دليلاً على نهاية دور الدولة البيزنطية في حماية المسيحية من ضغط الإسلام (عاشور، 1971، ج1، ص88).

وتُعتبر معركة ملاذكرد من المعارك الفاصلة في التاريخ، وتُعد أكبر نكسة في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية بعد معركة اليرموك، وأصبحت الأراضي البيزنطية تحت تهديد السلاجقة، وبذلك يكون السلاجقة قد تابعوا الجهاد الذي قام به المسلمون ضد الروم. ومن جهة أخرى، قضى السلاجقة على التحالف البيزنطي الفاطمي، واضطرت بيزنطة إلى مصالحتهم، وخضعت المدن الأرمينية للسلاجقة.

وبعد معركة ملاذكرد سنة (463هـ/1071م)، دخلت الدولة البيزنطية في مرحلة من الاضطراب السياسي والعسكري العميق، إذ تنازعت القوى داخل القسطنطينية على العرش، وتعددت الانقلابات والمؤامرات في صفوف النخبة الحاكمة والجيش. وفي خضم هذا الضعف والانقسام، حاولت الأطراف المتنازعة في بيزنطة الاستعانة بالقوات السلجوقية ضد بعضها البعض، الأمر الذي منح السلاجقة فرصة ثمينة للتغلغل في الشأن الداخلي للإمبراطورية البيزنطية، بل والتمركز في مناطق جديدة داخل آسيا الصغرى. فقد استفاد السلاجقة من هذه الاضطرابات لتوسيع نفوذهم، فدخلت جيوشهم في تحالفات متبدلة مع القادة البيزنطيين المتصارعين على الحكم، واستطاعوا بذلك أن يصبحوا عنصرًا فاعلاً في تقرير مصير الداخل البيزنطي، لا مجرد خصم خارجي (الصلابي، د.ت، ص80، 82).

وكان لمعركة ملاذكرد دور كبير في بداية الحروب الصليبية على البلاد الإسلامية، وذلك لنجدة الإمبراطورية البيزنطية وأراضيها في آسيا الصغرى، وبسط السيطرة على الكنيسة الشرقية، الأمر الذي أدى إلى دخول منطقة آسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر في صراع سياسي عُرف بـ "**الحروب الصليبية**". وقد كانت هذه بداية صفحة جديدة في تاريخ الحروب الصليبية التي استمرت قرابة القرنين من الزمن، لم تقتصر نتائج ملاذكرد على الانتصار العسكري فحسب، بل تجاوزته إلى تحولات حضارية وسياسية كبرى.

أتاحت معركة ملاذكرد للسلاجقة الانسياب إلى جوف آسيا الصغرى، والتعمق في أراضيها، وكان للصراعات الداخلية في الإمبراطورية البيزنطية الأثر في انهيار الدفاعات البيزنطية في الأناضول، ما فتح الطريق أمام القبائل التركية للاستقرار في هذه المناطق وتأسيس إمارات إسلامية فيها، كان أبرزها إمارة سلاجقة الروم [1]،

(1) سميت سلطنة السلاجقة في آسيا الصغرى بذلك الاسم، لأن البيزنطيين في العصور الوسطى الذين عرفهم العرب باسم الروم، كانوا يسيطرون على هذه المنطقة، ولم تلبث أن سميت باسمهم، فظلت قروناً عديدة تعرف باسم بلاد الروم. ولما استقر السلاجقة فيها أطلق عليها المؤرخون المسلمون اسم سلاجقة الروم، تماماً كما أطلقوا على الفروع السلجوقية الأخرى اسم البلاد التي استقروا فيها مثل سلاجقة الشام، وسلاجقة العراق.

أسسها "سليمان قتلمش"[1] (طقوش، 2002، ص53)، والتي أصبحت لاحقاً النواة الأولى لقيام الدولة العثمانية.

ومن ثم، فيمن القول إن معركة ملاذكرد كانت بمثابة الشرارة التي أطلقت مرحلة جديدة من التوازنات الإقليمية، حيث انتقل مركز الثقل السياسي والعسكري من القسطنطينية إلى المراكز الإسلامية الناشئة في الأناضول، وهو ما غيّر وجه التاريخ في المشرق لقرون طويلة تالية (عاشور، 1971، ص129، 133؛ أبو طالب، 2014، ص286)، وهي بذلك تمثل في الوعي التاريخي الإسلامي لحظة فاصلة بين عهدين: عهدٍ كانت فيه الإمبراطورية البيزنطية القوة المهيمنة في المشرق، وعهدٍ آخر بدأت فيه السيطرة الإسلامية تتعزز وتترسخ في قلب الأناضول. إن معركة ملاذكرد لم تكن مجرد انتصار عسكري عابر، بل كانت حدثاً مؤسساً لمسار تاريخي طويل انتهى بقيام الدولة العثمانية، التي واصلت بناء الهيمنة الإسلامية في المنطقة لعدة قرون متتالية (أوزتوما، 1988، مج1، ص67).

خاتمة

بعد دراسة معمقة وشاملة لمعركة ملاذكرد، يمكن أن نخلص إلى أهم النتائج التي توصل لها هذا البحث.

تُعد معركة ملاذكرد من المعارك الحاسمة والفاصلة في التاريخ الإسلامي والعالمي، وقد بدأ الصدام بين السلاجقة والبيزنطيين في أرمينيا، لكنه امتد إلى مناطق أخرى في الشام وفي آسيا الصغرى. إن هذه المعركة كانت تعبر عن حقيقة راسخة لدى الجانب البيزنطي، وهو تفكيره المستمر في العودة إلى بلاد الشام، كما كان لظهور قوة السلاجقة الدور الرئيسي في إحباط تلك المحاولات من الجانب البيزنطي، كما أن معركة ملاذ كرد ولدت في نفوس البيزنطيين الرغبة في الانتقام من هذه القوة التي ظهرت في العالم الإسلامي، مما مهد الطريق للحروب الصليبية لاحقا، كما أن المعركة أظهرت الدور الرئيسي لرجال الدين على الجبهتين في التجهيز والاستعداد للمعركة.

هذا على جانب تبعات المعركة على أرض الشام، أما في آسيا الصغرى فقد مهدت هذه المعركة لظهور قوة جديدة من الترك، وهي الدولة العثمانية والتي ستلعب دورا مهما في المرحلة اللاحقة من تاريخ الأمة الإسلامية.

(1) شهاب الدولة قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق، انشق على حكم السلطان طغرل بك في أواخر عهده، ونزح مع أتباعه إلى المنطقة الجبلية الواقعة جنوبي بحر قزوين، ولم يلبث قتلمش أن أعلن الثورة على ألب أرسلان بعد أن خلف طغرل بك، واحتمى بالحصون والقلاع العديدة التي كانت منتشرة في المنطقة، لكن ألب أرسلان لم يمهله، وحاربه وتغلب عليه وقتله وذلك في عام (456هـ/1063م).

قائمة المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم

أولا– المصادر:

01– ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن عبد الكريم (ت 630هـ/1233م): **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ج8، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1416هـ/1996م.

02– الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت 598هـ/1201م): **دولة آل سلجوق اختصار: الفتح بن علي محمد البنداري (ت 586هـ/1190م)**، مطبعة الموسوعات، مصر، 1318هـ/1900م.

03– البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ/1094م): **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج1، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

04– ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد (ت 597هـ/1201م): **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ج8، ط1، دار المعارف العثمانية، الهند، 1359هـ/1940م.

05– الحسيني، صدر الدين أبو الحسن على بن ناصر (ت 622هـ/1226م): **زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلاجقة**، تحقيق: محمد نور الدين، ط1، دار أقرأ، بيروت، 1405هـ/1985م.

06– ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت 367هـ/977م): **صورة الأرض**، تحقيق: علي بن الحسن بن بندار، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، 1412هـ/ 1992م.

07– الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ/1348م): **سير أعلام النبلاء**، مج 10، ط1، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1424هـ/2003م.

08– سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي بن عبد الله (ت 654هـ/1257م): **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، تحقيق: محمد أنس الحسن وكامل محمد الخراط، ط1، دار الرسالة العالمية، دمشق، 1434هـ/2013م.

09– ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (ت 660هـ/1262م): **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، تحقيق: خليل منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1417هـ/1996م.

– بغية الطلب في تاريخ حلب، ج4، تحقيق: سهيل زكار، د.ط، دار الفكر، بيروت – لبنان، د.ت.

10– ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت 571هـ/1176م): **الأربعون البلدانية**، تحقيق: عبدو الحاج محمد الحريري، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1413هـ/ 1993م.

11– أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل محمد عمر (ت 732هـ/1332م): **تقويم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1255هـ/1840م.

12– ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد (ت 749هـ/1349م): **التعريف بالمصطلح الشريف**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1408هـ/1988م.

13– ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة (ت 555هـ/1058م): **ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين**، بيروت، 1326هـ/1908م.

14– ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (ت 774هـ/1373م): **البداية والنهاية**، تحقيق: محمد عبد العزيز النجار، مج6، ط1، دار الغد العربي، القاهرة، 1412هـ/ 1991م.

15– المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت 380هـ/990م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط1، تحقيق: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1422هـ/2002م.

16– ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله (ت 626هـ/1229م): **معجم البلدان**، مج 5، دار صادر، بيروت، 1317هـ/1977م.

ثانيا– المراجع:

01– أحمدي، سامر بايروش: **انتشار الإسلام في كوسوفا**، ط1، مركز البحوث والدراسات، قطر، 1429هـ/2008م.

02- اوزتونا، يلماز: **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة: عدنان محمود سليمان، مراجعة: محمود الأنصاري، مج1، ط1، مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول – تركيا، 1408ه/1988م.

03- البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي: **التعريفات الفقهية**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1424ه/2002م.

04- حسنين، عبد المنعم: **سلاجقة إيران والعراق**، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1378ه/1959م.

05- حماده، محمد ماهر: **وثائق الحروب الصليبية**، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1402ه/1982م.

06- الزيباري، محمد صالح: **سلاجقة الروم في آسيا الصغرى**، ط2، دار دجلة، بغداد، 1429ه/2009م.

07- سليمان، أحمد عبد الكريم: **المسلمون والبيزنطيون**، ج1، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1402ه/1982م.

08- الصلابي، علي محمد: **دولة السلاجقة**، دار ابن الجوزي، القاهرة، القاهرة – مصر، د.ت.

09- أبو طالب، أسامة: **الدولة البيزنطية**، ط1، دار البداية، عمان، 1435ه/2014م.

10- طقوش، محمد سهيل: **تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى**، ط1، دار النفائس، بيروت – لبنان، 1423ه/2002م.

– تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ط3، دار النفائس، بيروت – لبنان، 1431ه/2009م.

11- عاشور، سعيد عبد الفتاح: **الحركة الصليبية**، ج1، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1390ه/1971م.

12- قاسم، قاسم عبده: **ماهية الحروب الصليبية**، عالم المعرفة، القاهرة، 1410ه/1990م.

13- كاهن، كلود: **تاريخ العرب والشعوب الإسلامية**، ترجمة: بدر الدين القاسم، ط1، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، 1391ه/1972م.

14- أبو النصر، محمد عبد العظيم يوسف: **السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري**، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،1421ه/2001م.